دور الشعوب في التحوّلات الاجتماعية

المناسبة: الذكرى السنوية الحادية عشرة لرحيل الإمام الخميني (ره)

الزمان والمكان: 1 ربيع الأول 1421 هـ ـ ق. 1379/3/14هـ ش. طهران (مرقد الإمام "ره")

الحضور: كبار مسؤولي الدولة وجموع غفيرة من عشّاق ومحبّي الإمام الراحل (ره)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين الهداة المعصومين سيّما بقية الله في الأرضين.

قال الله الحكيم في كتابه: ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا لولّوا الأدبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً * سنّة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾[1].

تمرّ علينا هذه الأيام أحداث عظيمة توقظ الكثير من الذكريات المهمة في وجدان الأمة الإسلامية, ولاسيّما شيعة أهل البيت (ع) وهي أحداث مفجعة وأليمة، ومنها رحيل خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) وشهادة سبطه الأكبر الإمام الحسن المجتبى (عليه الصلاة والسلام) وشهادة الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا (عليه آلاف التحية والثناء) وكذلك رحيل الإمام الخميني الذي تَصادَف أيضاً في هذا العام مع هذه المناسبات المحزنة.

حقيقة إلهية مسلّمة

وإنني في حديثي اليوم أودّ استقصاء بُعد مهم من أبعاد شخصية إمامنا العظيم التي تتميز بالسمو والعظمة؛ ففي الآية التي تلوتها قبل قليل ــ وهي إحدى آيات سورة الفتح ــ يوضّح القرآن الكريم للمسلمين المؤمنين في تلك الفترة حقيقة مهمة، وهي بعيدة عن الأذهان من حيث الأسباب الظاهرية، إلاّ أنها حقيقة بديهية ومسلّمة من حيث التصوّر الإلهي.

في العام السادس للهجرة وجدت فئة من المسلمين نفسها في مواجهة مع الكفار المدجّجين بالسلاح، بينما كان المسلمون لا يمتلكون التجهيزات المطلوبة ولا الأسلحة

---

[1] سورة الأحزاب، الآية: 62.

الضرورية ولا الوسائل الحربية اللازمة، وهم الذين لم يكونوا راغبين منذ البدء في قتال الكفار، وكان ذلك في "غزوة الحديبية" أو "صلح الحديبية".

ومع أنّ قتالاً لم ينشب بين الطرفين، فإن هذا الحادث ترتّبت عليه آثار أعظم مما يمكن أن يترتّب على حرب كبرى، وكانت له بركات استثنائية من حيث كيفية المواجهة؛ فلقد جاء كفار قريش بكل ما لديهم من أسلحة ومعدّات ورجال لقتال المسلمين الذين قَدِموا مجردين من السلاح قاصدين العمرة وزيارة بيت الله الحرام، إلاّ أن قتالاً لم يقع، وعاد المسلمون من هذه المواجهة السلمية بخير عميم.

وهنا يخاطب الله سبحانه وتعالى المسلمين مبيّناً لهم أنهم حتى لو نشب القتال بينهم وبين الكفار والمشركين لكان النصر حليفهم، فهذه سنّة إلهية وهذا هو قانون إلهي ثابت لا يتغيّر يجريه في عالم الوجود <سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً>[2].

دور الإنسان في التحوّلات الاجتماعية

وفي هذا السياق يبرز لنا أصل مهم، وهو أصل قد تكرر في صدر الإسلام، كما تكرر في تجربة الثورة الإسلامية، وأيضاً فيما عدا ذلك من وقائع التاريخ المختلفة، وإنّ إدراك هذا الأصل يمثّل أهمية فائقة بالنسبة لشعب كشعبنا، وإن كان يبدو غائباً عن العيان في معظم الأحوال.

ولهذا فقد كان دور إمامنا العظيم ــ الإمام الخميني الكبير ــ هو إثبات هذه الحقيقة.

فما هي هذه الحقيقة؟ إنها تتبلور في أنّ القوى المؤثّرة في التطوّرات الاجتماعية والسياسية لا تتعلق إلاّ بالإنسان وطاقاته وإرادته وإيمانه الإنساني.

وعلى هذا فإنّ مظهر القدرات والقوى المؤثّرة في التحوّلات الاجتماعية ليس هو ذلك الشيء الذي أراد حكام ومستكبرو العالم إظهاره على الدوام؛ فلقد أراد هؤلاء الحكام والمستكبرون إثبات أنّ التحوّلات الكبرى ونتائجها لا تحدث دون ما يبذلونه من أموال وما يمتلكونه من قوّة وأسلحة وسلطات مطلقة وما يبثّونه من دعايات، وأنّ أمور العالم رهن أيديهم، وأنّ التحوّلات البشرية لا تشذّ عن إرادتهم.

ولكن هذا المبدأ الإلهي يثبت خلاف ما يزعمون، ويؤكّد أنّ كافة تحوّلات العالم، وقضايا الإنسانية الكبرى، والثورات العظيمة، والتطورات العظمى، والتحركات الكبرى، ليست على الإطلاق رهن أيدي وإرادة طغاة ومستكبري العالم، ولا تتوقّف

---

[2] سورة الفتح، الآية: 32.

على أسلحتهم وثرواتهم ودعاياتهم ــ حتى ولو أوحوا بذلك ــ بل إنها رهن أمور أخرى تتعلّق بإرادة الإنسان وإيمانه وتضحياته وحركته وتجمّعاته، التي من شأنها التأثير والتحكّم في مصير البشرية وإيجاد الأحداث الكبرى.

وهو ما بيّنه القرآن مراراً وتكراراً، مؤكّدةً إيّاه الوقائع والحقائق التاريخية, إلاّ أنّ الكثير من الشعوب والأمم تجاهلت هذه الحقيقة السافرة، فمُنيت بالتخلّف، وسحقتها قوى الاستكبار العالمي، حيث إنها لم تُحسن استغلال ما لديها من طاقات وفرص وإمكانيات، وتغافلت عن الاستخدام الصحيح لمقدّراتها؛ وهو ما يستغلّه طغاة العالم ومستكبروه فيواصلون فرض إرادتهم وتحقيق أطماعهم الحيوانية ونزواتهم الشخصية.

وما علينا هنا إلاّ إلقاء نظرة على تاريخ العالم وما حواه من أحداث في الماضي وما يسجّله من أحداث راهنة، حيث إنّ الشعب الإيراني بحاجة إلى إعادة التثّبت من هذه الحقيقة؛ إنّ على الشعب الإيراني إعارة المزيد من الاهتمام لهذه الحقيقة الإلهية بما يحمله على كاهله من رسالة عظمى ومسؤولية كبرى تجاه المستقبل.

القرن العشرون قرن التحوّلات الاجتماعية

انظروا أيها الإخوة والأخوات الأعزاء! إنّ القرن الميلادي العشرين ــ أي هذا القرن الذي بلغ نهايته منذ بضعة أشهر ــ هو قرن التحوّلات الاجتماعية والسياسية الكبرى؛ فلقد أنجز الكثير من شعوب العالم تحوّلات كبرى في هذا القرن، كل حسب موقعه وظروفه وكفاءاته ويقظته ووعيه وما أتيح له من وقت؛ وإنني أقول هنا: بأن الشعب الإيراني كان في طليعة هذه الشعوب التي حققت إنجازات سياسية واجتماعية كبرى في هذا القرن، أي ابتداءً من عام 1905 أو 1906م المصادف لعام 1324 أو 1325هـ.ق، حيث بات الشعب الإيراني على مشارف تحوّل سياسي واجتماعي أكثر من غيره من شعوب المعمورة، وهو ذلك التحوّل الذي حدث في عهد المشروطة[3] عندما أثبت الشعب الإيراني وعيه وتقدّمه وجهاده وجدارته المطلوبة في ذلك الحدث.

---

[3] الحركة المشروطة في إيران التي تزعّمها اثنان من كبار علماء الدين في إيران هما السيّد محمّد الطباطبائي، والسيد عبد الله البهبهاني. عملت الحركة على إقامة حكم ملكي دستوري مشروط ببرلمان، ونجحت في عام 1906م، في إجبار الشاه مظفَّر الدين على إعلان الدستور، والاحتفاظ بمكانة عليا تضمن للفقهاء الإشراف على قوانين المجلس. ولكن انقسام الحركة الدستورية إلى فريقين، يطالب أحدهما بحكم ديموقراطي مطلق، وآخر يطالب بحكم يلتزم بالشريعة الإسلامية، أدى إلى إعدام الشيخ فضل الله النوري أكبر دعاة «المشروطة المشروعة» في طهران على يد فريق «المشروطة المطلقة»، ما جعل حالة من التشكيك في الحركة الدستورية تسود في أوساط العلماء، فاتهموها بالعمالة لبريطانيا. وقد حاولت الحركة الاعتماد على المرجعية الدينية في النجف الأشرف لتتخذ موقفاً حاسماً ضد السلطة القاجارية التي كانت تعارض أهداف الحركة في إنشاء

لقد كان علماء الدين وأبناء الشعب المخلصون في طليعة صفوف تلك النهضة، إلاّ أنّ غفلةً من جانب رجال السياسة المنتمين للبريطانيين آنذاك تسبّبت في أن تستغل القوى الغربية والأجنبية تلك الحركة التي قام بها أبناء هذا الشعب المسلم، فاستطاعت تلك القوى تشويه صرخة العدالة التي أطلقها الشعب الإيراني وحرف تلك الحركة الشعبية عن طريقها الصحيح طبق خطّة أعدّت سلفاً! ثم ما لبثوا بعد ذلك أن جاؤوا بعائلة بهلوي وجعلوها ترتقي سدّة الحكم.

وقد كان ذلك سبباً في تخلف الشعب الإيراني وإعاقة هذا البلد عن حركته على مدى ستين عاماً في الواقع، وكل ذلك على أيدي البريطانيين.

وفي الحقيقة فإنّ ما أظهروه من عداء تجاه الشعب الإيراني طوال هذه السنوات الستين أو السبعين كان عداءً شديداً لا يُنسى، وإلا فإننا قد دخلنا ميدان التحوّل الاجتماعي قبل الهند وروسيا والجزائر وقبل اندلاع شرارة الثورات الكبرى في القرن العشرين، وكنّا على أهبة الاستعداد لتطوير البلاد وإرساء قواعد حكومة ونظام اجتماعي متقدم.

لقد بذل شعبنا الكثير من التضحيات في طهران وتبريز وخراسان ومنطقة فارس وسواها من المدن والمناطق، ولكن الأجانب وقفوا عقبة كؤوداً دون ذلك، وساعدهم في تحقيق مسعاهم رجال السياسة العملاء للغرب, الذين كانت لهم آنذاك علاقة حميمة بالغربيين والحكام الانجليز؛ فهم الذين حرفوا حركة الشعب الإيراني عن مسيرها المستقيم، حتى إذا وضعوا رضا خان على سرير المملكة، تخلّف ذلك التحوّل للشعب الإيراني عن طريقه لمدة ستين عاماً!

إنّ ثمة شعوباً أخرى دخلت هذه الساحة أيضاً في هذا القرن، كان لكل منها طريقته؛ ففي الهند واصل هذا التحوّل طريقه بصورة ما، ووقع في روسيا بشكل آخر، وحدث في الجزائر بصورة مختلفة، وكذلك في عشرات البلدان من آسيا وأفريقيا وبقاع العالم المختلفة، حيث حدث هذا التحوّل الاجتماعي بصورة أو بأخرى.

وثمّة قاسم مشترك بين كافة هذه التحوّلات، وهو انتصار وغلبة القوى البشرية والإنسانية على القوى الإستكبارية، إلاّ أن هذا الانتصار كان واضحاً وساحقاً ومؤثّراً في بعض البلدان، وباهتاً وطفيف الأثر في بلدان أخرى، وما ذلك إلاّ بسبب الغفلة؛

مجلس شورى، والحركة الدستورية، فكان على رأس أنصار المشروطة الشيخ كاظم الخراساني والشيخ حسن الخليلي والشيخ عبد الله المازندراني والشيخ محمّد حسين النائيني وغيرهم. وفي 24جمادى الثانية 1327 هـ /13حزيران 1909م. حققت المشروطة انتصاراً ساحقاً بسقوط الشاه على أيدي أنصار المشروطة وخروج الروس من إيران.

فحيثما اتّضحت هذه الحقيقة وارتكزت الشعوب على قواها الإنسانية المؤثّرة، استطاعت التغلّب على ما تمارسه عليها القوى الغاصبة والجائرة والغاشمة والمعتدية من ضغوط وجبروت.

مشاكل الشعوب في الوقت الراهن

إنّ مشكلة الشعوب اليوم هي الشعور بالعجز إزاء عداء القوى الإستكبارية؛ وإنكم لو نظرتم الآن إلى المشهد الجغرافي لهذا العالم في تقسيماته وممارساته السياسية، لوجدتم إلى ماذا يستند أولئك الذين يتصوّرون امتلاكهم لكل شيء على هذه الأرض، والذين ينظرون باحتقار لكل الشعوب ويسيطرون ظلماً وعدواناً على المصادر البشرية والمادية ــ وهم قوى الاستكبار ــ فعلى ماذا يعتمد هؤلاء؟

إنّ أهم ما يعوّلون عليه هو الإيحاء للشعوب: بأنّ قوتّهم قوّة لا منازع لها؛ وإنكم لو ذهبتم الآن إلى مثقفي الدول المتخلّفة ــ ومنها الدول الإسلامية ــ أو إلى سياسييها أو شعوبها وسألتموهم عن السبب في عدم اتخاذهم خطوة لإحقاق حقوقهم الوطنية، لأجابوا: بأنّ ذلك هو ما لا طاقة لنا به؛ فلقد سلبونا كل شيء، وإنه ليس بوسعنا التعبير عن وجودنا أمام القوى الجائرة! إنّ هذا هو منطق الذين يتحرّكون من موقع الضعف في بلدان العالم اليوم.

إثبات الحقيقة القرآنية في إيران

إنّ الحقيقة القرآنية تتضح على خلاف ذلك؛ فالحقيقة القرآنية تنص على أنّ الإنسان لو ارتكز على قواه الباطنية ــ أي الإيمان والإرادة ووحدة الكلمة والإيثار ــ لَما وقفت في طريقه أية قوة أخرى؛ ففي عهد الطاغوت ارتكب شعبنا أيضاً نفس هذا الخطأ، ولو كان قد سألنا أحد: لماذا لا تجابهون هذا الحكم الطاغوتي وقد استلب نفطكم واستولى على مصالح هذا البلد وسلّط عليكم أمريكا وجرّدكم من دينكم وأخلاقكم, وشوّه الثقافة الوطنية والإسلامية والقومية, وحرّف تاريخ هذا الشعب؟! فإن المثقفين والسياسيين كانوا يجيبون حينذاك: بأن لا حيلة لنا في هذا الأمر، وليس بوسعنا عمل أي شيء! ولكن حركة الإمام والدرس العظيم للإمام والخدمة الكبرى التي أسداها الإمام لهذا الشعب والشعوب الأخرى أثبتت خلاف ذلك، وألهمت الشعوب أنّ بوسعها عمل شيء، وليس أمامها سوى التحلّي بالإرادة والعزم.

وأنّ على النخبة ومن يمتلكون زمام عقول الجماهير النزول إلى الساحة، وعلى الجماهير أن تستعد للإيثار والتضحية، فعندئذ سيتحقق كل شيء، وسيأتي النجاح تلو الآخر.

وكان هو [الإمام] أول من نزل إلى الميدان.. وبنزوله إلى الساحة، تبعته النخبة، ولحق به العلماء والمثقفون وطلبة الحوزة والجامعات وشتّى فئات الشعب؛ فلم يمض عدّة سنين إلاّ وكانت كافة الجماهير قد انضمّت إلى هذه النهضة العظيمة، وعندئذ تهاوت تلك القوة السياسية والعسكرية والإعلامية, وفقدت فاعليتها أمام المد الشعبي الجسور.

إنّ قوة الإيمان، وقوة الإرادة، وقوة القيادة الحكيمة، وقوة الثبات والصبر واليقظة ليست تغلّبت على قوة النظام الطاغوتي فحسب، بل إنها تغلّبت أيضاً على قوة أمريكا التي كانت تسانده.

إيها الإخوة والأخوات الأعزاء، ولكنّ انتصار الثورة لم يكن نهاية المطاف؛ فبعد الانتصار تكرر ذلك الدرس القرآني العظيم الذي لا ينسى ــ والذي جسّده الإمام وأعاده علينا في حياتنا ــ وغدا حيّاً في التجارب والعرصات الشعبية المختلفة، وكذلك في الهجمات السياسية والعسكرية والاقتصادية التي تعرّض لها هذا الشعب.

ولقد وعى شعبنا هذا الدرس في الحرب المفروضة وفي مواجهة القوى الإستكبارية وفي كافة القضايا السياسية.

تكرار الحقيقة في لبنان

وها هو نفس الدرس يتكرر مرّة أخرى اليوم في لبنان؛ فعندما اجتاح الكيان الصهيوني جنوب لبنان واحتلّ تلك المنطقة لم يكن في نيّته الانسحاب منها يوماً ما، حتى إنّ قوّاته وصلت إلى بيروت على سبيل الاحتياط! ولكن الكيان الصهيوني لم يكن قد خطّط لاحتلال كافة الأراضي اللبنانية، بل كانت خطّته الأساسية آنذاك احتلال جنوب لبنان فقط, وضم تلك المنطقة إلى الأراضي التي احتلّها، كما فعل ذلك سلفاً في فلسطين, حيث اغتصب جزءاً من الأردن وجزءاً من لبنان؛ ولهذا فإن خطته الأساسية كانت عدم الإنسحاب من جنوب لبنان، فمن الذي وقف في مواجهته؟!

إنها قوة الشعب الأعزل من السلاح والعتاد في لبنان، أي قوّات حزب الله وقوّات المقاومة الإسلامية وقوة الجماهير التي تعرّضت دائماً لقصف القوات الصهيونية.

لقد استمر الاحتلال طويلاً، ولكنه بلغ نهايته بانتصار القوة الإنسانية المرتكزة على الإيمان والإرادة، وفشلت مرّة أخرى تلك الخدعة الإستكبارية حول عناصر التأثير

والتي كانت تريد قوى الاستكبار تمريرها إلى أذهان الجماهير الشعبية، واتّضح أنّ الأمر ليس كذلك؛ فليس بوسع كل من يمتلك العتاد الحربي والقوة العسكرية والإعلام الدولي والعالمي أن يفرض إرادته لا محالة.

ولو كان قد قيل لأفراد الشعب ولنفس الصهاينة وحماتهم قبل عام أو عامين بأن هذا الشباب المؤمن من حزب الله في لبنان سيحقق انتصاره على الكيان الصهيوني، وأنهم سيستردّون أرضهم بالقوة كما أخذت بالقوة، لَما صدق ذلك أحد، وهو ما بات اليوم حقيقة واقعية! إنّ حرباً خاطفة لم تنشب، ولكنه نضال ومقاومة تواصلت على مدى سنوات طويلة، فتغلّبت قوة الإرادة وقوة الإيمان على تلك المظاهر الخادعة التي كانت تبهر العيون والأبصار.

فلسطين ستعود يوماً ما إلى أصحابها الأصليين

إنني أخاطب شعب إيران العزيز، هذا الشعب الباسل والمتوثّب والمؤمن صاحب الإرادة والخبرة الطويلة، كما وأخاطب الشعوب الأخرى أيضاً، وأقول: بأن تلك الحادثة وتلك الواقعة، وتلك التجربة القرآنية العظيمة والمتكررة من الممكن أن تحدث مرّة أخرى، أين؟ في فلسطين نفسها.

إنّ المحللين السياسيين اليوم يعتبرون ذلك أمراً مستبعداً.

ولو قال أحد: بأنه من الممكن أن تتغلّب قوة الإيمان والإرادة الشعبية هذه على الكيان الصهيوني الغاصب والمستكبر والجائر، لاعتبر البعض ذلك أمراً بعيداً جداً، بل لعدّه البعض أمراً مستحيلاً.

غير أنّ ذلك ليس مستحيلاً أبداً، وهو أمر ممكن الوقوع؛ فهو تكرار لنفس تلك التجربة التي حدثت في صدر الإسلام عدّة مرّات، والتي حدثت في الثورة الإسلامية، وفي الحرب المفروضة، وفي الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي تميّزت به حكومة الجمهورية الإسلامية على طول واحد وعشرين عاماً، وفي نفس التجربة التي حدثت أخيراً في لبنان؛ فكلّه تكرار لنفس تلك التجربة؛ إنّ تكرارها لا يحتاج إلاّ إلى عنصر واحد، ألا وهو اعتماد الشعب الفلسطيني على قوّته الذاتية وعدم رضوخه للكلل، وألاّ يُسلب منه إيمانه وإرادته وأهدافه وآماله, وكما تحرّر جنوب لبنان بعد اثنين وعشرين عاماً، فمن الممكن أن تُحرّر أجزاء من أراضي فلسطين ثم كافة فلسطين المحتلّة بعد مرور عدة سنوات.

إنّ البعض اليوم يعتبرون ذلك أمراً مستبعداً للغاية، وهو ما كان يعتقده البعض بالأمس بالنسبة لجنوب لبنان، وهو ما صار واقعاً ملموساً! وحتى هنا في إيران قبل

ثلاثين عاماً، لو كان أحد قد قال: بأنه من الممكن أن يُسقط هذا الشعب النظام البهلوي الطاغوتي ويزيله من الوجود، لَما صغت إليه أذن, ولو قال شخص: بأن حكومة إسلامية ستحلّ محل هذا النظام الطاغوتي البهلوي، لَما صدّقه أحد, ولكن هذا الأمر الذي لم يكن قابلاً للتصديق حسب الظاهر, قد تحقق بالفعل، وبات واضحاً أن المظهر الحقيقي للقوى المؤثّرة في التحوّل البشري سياسياً واجتماعياً ليس هو ذلك الشيء الذي خدع أبصار السطحيين, والذي تسعى الدعايات الإستكبارية لإظهاره على تلك الصورة.

إنّ القوى المؤثّرة هي الإرادة الإنسانية، والإيمان الإنساني، وقوة العزيمة، وتضحية الطليعيين والقادة وعدم استسلامهم للمتاعب.

نعم، فلو أسلم الشعب الفلسطيني قياده لأولئك الذين أظهروا أنهم ليسوا أهلاً للساحة الفلسطينية، وأنهم أحقر من أن يحملوا على كاهلهم قضية بعظمة قضية فلسطين، وأنهم ليسوا سوى أدوات للاستسلام وعملاء مأجورين يقومون بدور مرسوم لصالح الكيان الصهيوني وأمريكا، فإنه لن يحقق نتيجة على الإطلاق, ولكن لو نزل إلى الساحة الفلسطينية أناس مؤمنون، وشباب مؤمنون، وقادة مؤمنون، وعناصر لا تعرف الكلل أو الملل، وأشخاص تضيء قلوبهم بنور الإيمان ــ الإيمان بالقرآن والإيمان بالإسلام ــ كما نشهده اليوم في الساحة، ولو التف حولهم جمع من الشباب مقتبسين من إيمانهم ــ على غرار ما يجري الآن ــ فإن هذه الحركة ستشقّ طريقها إلى الأمام.. واعلموا أنّ فلسطين ستعود يوماً ما إلى أصحابها الأصليين من مسلمين ومسيحيين ويهود.

شعبنا مازال بحاجة إلى تلك الإرادة والإيمان

وختاماً، فإنني أخاطب شعبنا العزيز، وأقول: أيها الشعب الإيراني الشامخ، أيها الشعب الذي كرر بوجوده وحضوره وإرادته وتضحيته وإيثاره تلك التجربة القرآنية التي حدثت في عهد صدر الإسلام.. أيها الشعب الذي استطاع الخميني العظيم تغيير مفاهيم العالم السياسية بفضل ما منحته من دعم ومساندة، كما استطاع قلب الموازين الدولية، واستطاع أن يشقّ طريقاً جديداً أمام الإنسانية.. أيها الشعب العظيم، إنك مازلت اليوم في حاجة إلى تلك الإرادة والإيمان لترسيخ ما حققته من مكاسب.

إنّ النظام الإسلامي قد بات اليوم راسخاً والحمد لله، غير أنّ أولئك الذين تلقّوا لكمة من ثورتك، أيها الشعب الإيراني، وتلك القوى السياسية التي قطعت أنت أياديها وكففتها عن استلاب مقدّرات هذا البلد، لم يغمدوا سيوفهم حتى الآن، فمازالت صدورهم تنتفخ بالعداء، وما زالوا يدبّرون المؤامرات ويرسمون الخطط.

إننا نحمد الله على أنّ القناع قد انكشف عن الكثير من نوايا أعدائنا السيّئة, وسقط عن وجه العناصر الأمنية والاستخباراتية والسياسية لأمريكا وحليفتها الصهيونية، ولكن هناك أبعاداً أخرى سوف تتضح أمام عيون الشعب، وبفضل الله فإنني سأبيّن لجماهير الشعب الصورة العامة لخطة العدو التي كان قد بيّتها لنظامنا، وذلك في فرصة سانحة.

الأخطار التي تواجه مسيرة الثورة

إنّ اليأس والقنوط هو الخطر الذي يهدد هذا الشعب على طريق مواصلة نهضته الشامخة؛ فإذا استطاع العدو أن يزرع اليأس إزاء المستقبل في نفوس شعبنا وشبابنا وفئاتنا الجماهيرية، فسيكون قد ضرب ضربته! وهذا هو الخطر الأساسي؛ ولهذا فإنكم تجدون أنّ العدو يسعى بكل ما لديه من أساليب ودعايات ووسائل لجعل القلوب تشعر بالشك والقنوط إزاء هذه الحركة الإسلامية التي تبعث على الفخر، فهذا خطر عظيم.

على أنّ العديد من الأخطار المتفاقمة تهدد أولي الرأي وأصحاب التأثير على الرأي العام الشعبي، سواء أكان ذلك بما يقولون أو بما يفعلون أو بما يكتبون، فليكونوا على حذر؛ فأحد هذه الأخطار هو الشعور بالتعب، ومنها البحث عن الراحة والرفاهية، ومنها حب الاستسلام، ومنها النزوع إلى تحقيق المصلحة المادية، وهي تلك المصيبة نفسها التي حلّت بأولئك الذين حرفوا مسير الثورة الفلسطينية، وهو نفس الخطر الذي مُنِيَ به أولئك القادة الذين حرفوا شعوبهم عن طريقها الصحيح, التي كانت قد بدأته وأعاقوها عن مواصلة المسيرة.. إنّ ثمّة عبئاً ثقيلاً يقع على عاتق القوى المؤثّرة في الرأي العام الشعبي؛ فعلى هذه القوى أن تقوّي إيمانها وحكمتها، وأن تزيد من توكّلها على اللطف والفضل الإلهي، وألاّ تحسن الظنّ أبداً بالعدو، فالعدو يُعد العدّة لتوجيه ضربته.

إنّ النخبة في أي بلد ــ أي القوى المؤثّرة في حركة الشعوب، بأقوالها وأقلامها وتصرّفاتها وتوقيعاتها ــ إذا نزعت إلى الاستسلام وحب الراحة والعيش الرغيد وحياة البطر، وشعرت بالتعب من الحضور في ساحات الخطر، فإن هذا ينبّئ بالخطر عندئذ .. ولهذا فإنكم تجدون أنّ أمير المؤمنين يوجّه أكثر خطابه وأكثر ملامته وأكثر وصاياه وأكثر تحذيراته في مدّة خلافته القصيرة لأولئك الذين ولاّهم وجعلهم مسؤولين عن إدارة مناطق مختلفة من أقطار العالم الإسلامي الشاسع والخاضع لحكومته.

كما أنّ إمامنا العظيم [الإمام الخميني] كان كثيراً ما يوجّه تحذيراته إلى المسؤولين وإلينا وإلى تلاميذه وإلى من تربّوا في كنفه؛ وخلاصة هذه التحذيرات تكمن في الابتعاد والحذر من حلاوة الحياة الرغدة وعدم التعوّد على هكذا حياة وعدم ترك الجهاد في سبيل الله.

اللهم إنّ هذا الشعب العظيم قد آمن بك وجاهد في سبيلك، وأنت القائل <إن الله يدافع عن الذين آمنوا>[4]، اللهم دافع عن هذا الشعب العظيم وثبّت أقدامه على طريق تحقيق آماله العظمى وأهدافه الكبرى في مواجهة أعدائه الألدّاء، وتفضّل عليه بالنصر المؤزر.

اللهم واجعل اسم الإمام ونهج الإمام وذكرى الإمام ودروس الإمام الخالدة حيّةً دائماً في أذهاننا وقلوبنا وأعمالنا.

اللهم فجّر نبع الأمل في أفئدتنا، اللهم وأهلك أعدائنا، اللهم ورسّخ في نفوسنا وحدة الكلمة وقوة الإيمان والإرادة والعقيدة.

اللهم قرّبنا بفضلك وعونك ولطفك مما وعدت به عبادك المؤمنين والمحسنين والصالحين.

اللّهم واجعلنا من عبادك الصالحين، واجعل موتنا وحياتنا لك وفي سبيلك، واكتبنا من جنود الدين وعساكر الإسلام.

اللّهم انصر كافة شعوب المسلمين، وامنن بنصرك المبين على شعبي لبنان وفلسطين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

[4] سورة الحج، الآية:38.